قصة قصيرة

القصة الملكية

عادل كامل

منذ متى كنت تتأخر في الاستيقاظ ؟ ومنذ متى كنت تتباطأ في مغادرة السرير ؟ كذلك جعل يردد كلمات زوجته ـ التي تجاوزت الخمسين بعام ـ مع نفسه : متى كنت تدعهم ينتظرونك كثيرا امام الباب : العربة، الحارس ، والسائق الذي طالما حدثتنا عن غروره ؟ ـ انذاك ترك سريره وتوقف امام المرآة الكبيرة . لقد مضى زمن طويل على وجودها ، بيد انه ، وهو يشعر بألم في معدته ـ تخيل ما سيقوم به من عمل شاق للايام الاتية . فقد تحتم عليه ، هو الذي اختير من قبل الملك ذاته ، ان يؤدي واجبا مهما ـ ان المرآة لم تعد كالسابق، صافية في نقل صورة محياه : أتراني شخت حقا ؟ ثم ما معنى الالم الذي ...؟ أتراني أسرف في التخيل ام في الوهم؟ لقد تذكر انه لم ينم كثيرا خلال ليلة امس . ومع ذلك ابتسم برضا ، فقد امضى الليل يقرأ محللا آخر خطاب للملك . ودار بخاطره ، وهو يرتدي ملابسه ، ان الملك سيندهش لتحليلاته . أجل ، وسيقول الملك لحاشيته: انه الرجل الوحيد الذي فهمني وشرح افكاري . واصغى السيد سامي عبد الاله للاصوات المبهمة ، بلذة طال ما شعر بها وهو ـ منذ ربع قرن ـ يقوم بشرح كلمات الملك وخطبه ..

لكنه قبل ان يترك غرفته ، تراجع ببطء ، وتوقف امام المرآة : لقد كبرت قليلا . لكن ... قال لذاته : قال الملك في خطابه الاخير : لن تشيخ الافكار . يموت الانسان ولكن افكاره تمتد وتنمو . انها تتحدى الزمن. وخطرت بذهن السيد سامي عبد الاله فكرة ، رددها ، وهو ينظر الى قامته المديدة بابتهاج ، ان الزمن ذاته ينحني للافكار المختارة .

في تلك اللحظة دخلت زوجته ، وفي صمت ، تأملته ، راضية وقالت تخاطبه بصوت خفيض :

ـ سيدي ..

رفع رأسه ، وبادلها ابتسامة راضية ، ثم ترك المنزل .

اذن ، الزمن ذاته ينحني للافكار المختارة . الزمن الذي يشيخ ويتهدم ... وكاد يسقط في باب المنزل عندما اجتاز عتبة باب الحديقة ، لكنه استقام، متجاهلا الالم في معدته ، والقى نظرة سريعة على العربة السوداء الطويلة . وقد انحنى الحارس بقامته المديدة . ليلج العربة ويجلس في المقعد الخلفي ، الذي كان يجلس فيه، منذ سنوات بعيدة .

« انما ماذا..عندما ... يشيخ الزمن ذاته...؟»

تحركت العربة تشق طريقها المعتاد . كان السيد سامي عبد الاله يراقب ، من خلال الزجاج الشفاف ، الاشجار والمارة والبيوت في هدوء تام . لم يكن يفكر في أمر عدا الالم الجديد الذي كان يؤذيه قليلا . الالم الذي لم يسمح له بالانتشار . فقد كان ـ هكذا يقال عنه ـ من هؤلاء الرجال الذين يطفئون النار براحة أيديهم بلا مبالاة ! لكنه فجأة تذكر مساعده في العمل ـ وكيله او نائبه ـ الذي نفاه الى مكان بعيد . فعل ذلك لان النائب ، ذات يوم همس في اذنه « اننا ، يا سيدي ، لا نعيش في الزمن المختار » قال سامي عبدالاله له : في اي زمن نعيش اذن ؟ اجاب نائبه : سيدي ، نحن نعيش في فضلات الزمن .

رفع السيد سامي صوته آمرا السائق بالتوقف « لماذا ؟» لم يجب . انما وجد حلا سريعا .. فقد ترك العربة وتوقف امام باب مدرسة للاطفال . ثمة اطفال كانوا يتجمهرون من حوله ، وكان يتحدث معهم ، بود يخال المرء الا علاقة له بالواجب الرسمي . هكذا دار بخلد السائق الذي رافقه سنوات عديدة . ولكن بعد ان عاد سامي عبد الاله الى مقعده ، تجدد صدى صوت نائبه « نحن ، سيدي ، نعيش في فضلات الزمن ..» فضلات ، فضلات أي في زمن الزبل ، في قذارته .. وضحك ، وضحك بسعادة كونه لم يغفر لنائبه . كيما لا يتفوه بمثل هذا الكلام النابي ! وراح يقول لنفسه، وهو يتخيل ما سيقوم به اليوم من عمل « ان الزمن ـ بل هذا الزمن بالذات ـ هو الذي ينحني للافكار المختارة » واصغى لاصداء التصفيق . أصوات مختلفة كانت تأتيه من كل الجهات ، وهو يرى ملامح وجه الملك . اصوات

تحييه . كم مرة همس الملك باذنه : حقا ، انك اذق من فهمني ، وحلل خفايا كلماتي . كان سامي يقول : ان الكلمة الملكية ، هي الاكثر سموا ، وهي التي تكتسب معناها . واليوم اقول لكم : انها تكتسب خلودها لهذا السبب .

اهتزت العربة . وكاد يصرخ بالسائق « لا تسرع » انما سره ان يهتز . ويرتج في مقعده ، فقد حلم كثيرا ان يسترجع ذكرى مهده القديم ، وذكرى صوت امه يهدهده بخفة لم تتكرر قط على امتداد الزمن .

« سيدي ، نحن لا نعيش في الزمن المختار » وها هو يبتسم ، هامسا لنفسه بحذر شديد : اذن ، اننا نعيش في قمامة الايام . نحن نعيش في الفضلات .. فضلات الايام ، الاشهر ، الاعوام .. الـ .. »

وامام بناية تتقدمها اعمدة عملاقة ، توقفت العربة السوداء ، ونزل ، كما يفعل في كل مرة، ببطء، منتصبا، ومتقدما الى الامام . في هذا اليوم توقف قليلا وتأمل الاقواس والاعمدة وضخامة البناية الجاثمة فوق الاعمدة المرمرية ، وكاد يسأل احد الحرس عن لغز قوة هذه الاعمدة . انما تذكر انه ليس اي رجل ، ثم من ذا يجرؤ ويشرح له مثل ذلك اللغز الذي استعصى عليه ذاته ! كذلك دار بخلده ، وهو يتقدم ، بأنه رجل ما عادت تعنيه التفاصيل . منذ ربع قرن ــ منذ عمل موظفا بسيطا ــ وحتى الان ــ وهو في منصب كبير ــ لم يتح للاخرين ان يدركوا شيئا من افكاره ، او كيف يفكر ، ويبتدع الجمل المثيرة ، ذات الفخامة ، ولكأنها نحتت على غرار تلك الاعمدة المرمرية ! قالها بابتهاج وهو يرفع يده تحية للحرس ، والموظفين المصطفين على الجانبين .

وها هو يجلس في غرفته ــ مثل كل يوم ــ ومثل كل يوم بدأ يتأمل صورة جلالة الملك . ينهض ، يقترب منها ، ويبتعد ، ويلقي نظرة نشوانة ــ من وراء النافذة الكبيرة ــ الى غابة لا حدود لنهايتها ... من ثم ، ببطء، يعود الى مقعده ، امام منضدة كبيرة لا غبار عليها ، ويجلس ، يقلب بعض الاوراق ... وها هو يحسم قلقا راوده لبرهة « في اي زمن اعيش انا .. ؟» لينهض تاركا غرفته . حيث ينتظره ، في قاعة الاجتماعات ، حشد من « كل هؤلاء الاوغاد » قالها وسد فمه بسرعة . كان حائرا قليلا . لكن نفسا عميقا من الهواء الصافي اعاد له صفاء ذهنه « نفرا من ... هؤلاء ... الذين ... كنت ... ذات يوم.. قد عملت في مناصبهم.. وعرفت، بحكمة ، وبثقافة ممتازة ان اتقدم .. واتقدم ...» وقال وهو ينتبه لنفسه ، امام الحاضرين ــ وقد مضى على صمته خمس دقائق ــ بانه لا يعرف لماذا يشكون المواطن ولماذا تتزايد طلبات الشكوى ، قالها وهو يحدق فيهم واحدا بعد الاخر . اي لماذا لا تتم انجازات معاملات الناس بالطرق المثلى ؟

ــ سيدي ، انا مثلا ..

ــ ولكني لم اوضح لكم بعد ..

في هذه اللحظات كان سامي عبد الاله يتذكر ما قاله لصحفي ــ جاء يستطلعه رأيه في ما تم انجازه من خطاب جلالة الملك الاخير ــ قال سامي له ، بانه ، انجز عملا ما يساوي الف رجل . وقال له ــ اثناء الحوار وهو يبتسم سعادة وغبطة ــ بانه يفعل ذلك ، بثقافة حصل عليها من عمله الطويل والشاق مع الناس ــ تصور ــ قال سامي للصحفي : انا استطيع ان اقنع اي مواطن يراجعنا ، مهما كانت شكواه شائكة عصية على الحل، بالرضا ، ومغادرة الدائرة ، باطمئنان ــ قال الصحفي : ودون ان تحل المشكلة ؟ ــ قال سامي : نعم !

ــ فانا اجهل عملكم .. وكيف يمضي الزمن .. والمواطن ، مع ذلك يشكو ..

تنفس ، ودخن سيكاره الاول ــ سيكار الصباح ــ متابعا :

ــ لماذا يشكو ؟ لماذا تدعوه يشكو .. ما هي مشاكله .. هل درستم جيدا فحواها ؟ أم انكم ، في الغالب ، تهملونه ، أو تستفزونه أو .. ، ربما .

صمت . فقد كانت تدور في راسه فكرة انهم كانوا يحرضون المواطن ، سياسيا ، ضد الملك . بل وضد نظام الملك . وقال بهدوء مصطنع :

ــ ربما ، لا تقنعونه جيدا .

واسترسل :

ــ في خطاب جلالة الملك الاخير ، كلمة تقول : ان الموظف الجيد ، يمتلك شجاعة اداء واجبه عندما يتزيا بشجاعة المواطن . وانا اعتقد ان جلالته قصد بان ...

واردف حالا :

ــ ... مما تقدم ، ندرك ، انكم لم تنجزوا اعمالكم جيدا ، بصورة مثلى ..

واستمر يتكلم، ساعة اخرى من الوقت ــ كذلك كان يفعل ، شارحا في كل مرة ، خطابا من خطب الملك ــ وكان يلاحظ مدى الاستحسان الذي كانت تقابل به كلماته ، والرضا العام . وفي هذا اليوم ، كذلك ، لم يحس بأمر مغاير ، انما كان أحد المدراء ــ شاب ، لم يجتز منتصف العمر ــ قد قال حينما طلب منه الكلام ، بان الامر لا يتعلق بشرح كلمات الملك ــ او تطبيقها ــ انما الامر يتعلق ــ قالها وقد نهض ــ بامر ابعد من ذلك.

ــ ماذا تعني ؟

ــ لا اعني شيئا ، يا صاحب السعادة .

ــ ولكن في كلامك ما ...

قال المدير حالا :

ــ اقصد ان هناك من لا يقيم وزنا لنظام الملك ..!

ــ لسنا بصدد هذا الموضوع .

وابتسم السيد سامي عبد الاله ، اول مرة ، متابعا:
ـ فاذا ما حاولنا التطرق الى الموضوعات كافة . فاننا سنضيع . ان على كل منا واجبا اذا ما اديناه ، فانه يمكن ان ..

وتخيل نائبه السابق ، والحوار ما بينهما . ليشعر، كما في الاشهر الاخيرة ـ قبل نهاية الجلسة ـ بوجود غبار في الهواء . بل واحيانا كان يشعر ـ منذ اغمي عليه قبل شهر ـ بانعدام الهواء . الان ذات الحالة يشعر بها: لكأن ابواب القاعة قد احكمت ، والنوافذ ما عادت تسمح لدخول الهواء . كانت صور الجالسين ـ وهو يتكلم شارحا خطاب الملك ـ امامه ، تختفي تارة ، وتبرز مرعبة تارة اخرى . احيانا كان يراهم ضخام الجثث ينهضون ويقتربون منه ، واحيانا، لا يرى شيئا : ثمة صحراء تمتد الى البعيد . فجأة ، شجع نفسه ، وقاطع نائبه قائلا :
ـ ليسمح لي بالكلام ..

سكت . وفضل الا يتطرق الى وضعه الصحي . كذلك لم يأت بسيرة نائبه السابق ـ كما كان يفعل ذلك في كل اجتماع ـ انما تطرق الى فكرة الزمن الذي ينحني، عندما تكون ثمة افكار اعظم من الزمن « انك تهذي » وكاد يتساءل : من شتمني ؟ لكن صمت القاعة منحه شجاعة الاسترسال . فقال :
ـ اننا نصنع الزمن . و..

سكت . ودار بخاطره ان الانسان لا يصنع الزمن، ولا احد استطاع ان يحني الزمن . ان ثمة بعضا منا ـ قال لنفسه ـ كان قادرا على انيتحايل عليه ـ على الزمن والبشر والحياة والجسد وكل ما تبقى ...
ـ سيادة .. يا ..
ـ يا صاحب الجلالة ..
ـ الفخامة ..

لم يكن قد نفذ وعيه تماما . فبعد ساعة منالحديث المستمر ، شعر بدوار، واحس بانعدام الهواء فيالقاعة.. مع ذلك عاد يتكلم بصوت عال ، له صدى كان يتردد في ارجاء القاعة الكبيرة .

ـ منذ سنوات بعيده وانا اقوم بتحليل ودراسة خطب جلالة الملك .. ولست الان بصدد تكريم جلالته لي ، ولا بالكتب التي أصدرتها عن عظمة هذه الكلمات.. بل .. ولا عن اللغة ذاتها التي كنت امنحها نفسا ملكيا اعاد لها الحياة بعد ان كانت يباسا وخالية من كل حياة، انما انا بصدد الزمان الذي علينا ان نلوي عنقه بايدينا.

واستمر يتكلم وقتا اخر ، بعد ذلك ، نهض وجعل يمشي بثقة استمدها من التصفيق الذي قوبلت به كلمته في آخر الاجتماع ، حيث اصغى ـ بعد ذلك ـ الى كلمات لا تحصى من المديح والفخر، وتناهت الى مسامعه، كلمات فاقت الاطراء . كلمات تزعم انه سيخلد مع الملك. وأفكاره ، وانه ، منذ الان ما عاد مخلوقا يحيا كالمخلوقات الاخرى . بل وجعل يسمع كلمات ـ او لم يسمعها قط ـ بانه ما عاد بحاجة الى حياة تتكون من الدم واللحم والعظام ـ فحياته ـ تابع الاصفياء ـ فاقت الحدود المعترف بها واقعيا للحياة :

بعد ان ترك قاعة الاجتماعات . وفي الممر الطويل المحاط بالاشجار ، رفع رأسه وتأمل السماء : كانت شديدة الزرقة ، عدا غيوم بيضاء عالية كانت في الاعالي، كان ذلك المشهد ساحرا له ، فقال يخاطب نائبه ، بانه لم ير سماء ملكية كهذه السماء . اجاب النائب : ـ هذا اكيد .. ماذا تطلب بشأن السماء ؟

قال سامي يخاطب نفسه بهدوء يخفي فزعا مبهما « هل نصدر تعليمات للموظفين والمواطنين بهذا الشأن؟ اعتقد .. ان هذا الامر . ليس من اختصاص دائرتنا .. ثم .. علي .. ان احتاط من امور الرب . »

وقال لنائبه :
ـ لا شيء . انها سماء جميلة .
ـ سنبلغ الدوائر بذلك .

قال سامي بصوت متوتر :
ـ لم اقصد ذلك .

وكاد يقول له « ايها الغبي .. انا لم اعرف ان السماء جميلة الا في هذه اللحظة » وكان ، عمليا ، يفكر في المجتمعين الذين عليهم ان يمضوا ربع قرن في العمل الدؤوب ، حتى يصلوا الى هذه المرحلة ، وحتى يلاحظوا ذلك !

ذات الطرق ، الشوارع ، الاشجار ، الناس ، الاسواق ، السماء ، التي يمر بها سامي عبد الاله ويشاهدها . بيد ان رائحة ما ، لم يألفها ، كانت تنفذ اليه ممتزجة بهواء الشتاء البارد ، رائحة كادت تدفعه الى البكاء . لكنه لم يبك منذ ربع قرن، ولم يحزن كذلك، بل لم يشك لاحد ـ حتى لزوجته ـ بامر العواطف أو ما ماثلها . انما اللحظة بكى دون ان يتيح للسائق ـ او لحارسه ـ بمعرفة الامر . وها هو يستعيد صحوه ، وينتشل نفسه من غفلة كادت تفضحه . ويترجل ، تاركا العربة . عائدا الى دائرته . وللمرة الثانية ، في يوم واحد ، يتوقف متسائلا عن لغز مقدرة وتمكن الاعمدة المرمرية من حمل ثقل ما فوقها من كتلة حجرية كبيرة تكون الطابق الثاني من البناء الكبير ... ضحك كطفل، وسأل نائبه :
ـ أي مهندس صمم هذا البناء ؟

قال النائب حالا :
ـ سنلقي القبض عليه حالا .

قال سامي بصوت جاف :
ــ ايها الغبي ...
ــ نعم سيدي .
ــ قلت اريد ان اكرمه !
ــ عظيم ، انه المهندس .. الايطالي .. الفرنسي .. الانكليزي .. لا اتذكر ..
ــ لا تتذكر .. اذن ؟.
ــ ...

كاد الاخر ان يفقد وعيه . لكن كلمات سامي عبدالاله أعادت اليه الوعى :
ــ اذن.. حاول ان تتذكره .

وحسم سامي الامر معتبرا البناء واحدا من عجائب الدنيا . وأحس برهبة خفية لاستقبال الحرس ــ في مقدم الدائرة ــ له . اذ فكر في تأثير أقدامهم وهي تدك الارض ــ بمرور الايام ــ على البناء العظيم ، وربما قد تهدمه ذات يوم ! ولكنه حياهم بكلمات ــ استغربها الحرس ــ مع ابتسامة امتزجت بها .

وكان وحيدا داخل غرفته ، واقفا امام صورة جلالة الملك يتمتم بكلمات مبهمة . بعد ذلك ، القى بنظرة سعيدة الى الغابة : حيث كانت الشمس تملأ الفضاء باشعتها الذهبية الصافية ، وثمة اصداء لاصوات طيور كانت تتناهى الى سمعه . في تلك اللحظة دخل نائبه، مع رجل انيق ، ورجل ثالث ــ ربما كان حارسه الخاص ــ وجلسوا . قال سامي يحدث نائبه :

ــ أرجو من الطبيب ان يراجعني في البيت اليوم.. فصحتي ..

لكن النائب نهض ، وقدم للسيد سامي عبد الاله اضبارة كانت فيها ورقة صغيرة ، وتراجع يجلس في مقعده الخشبي بالقرب من الرجل الانيق .

قرأ سامي الكتاب الملكي ، عدة مرات ، واخيرا، بهدوء تام ، نهض واستقبل الضيف :

ــ باسمي الشخصي أرحب بك .

ولم تبد على عبد الاله علامات غضب او تأثر ، بل جعل يتكلم عن مختلف المشكلات والصعاب . بل وحدث ضيفه عن السماء الزرقاء الجميلة ، وعن اعمدة المرمر .. و ... وفي ختام المقابلة ، قال سامي له ، بانه امضى زمنا طويلا في العمل ، امضاه جله في تنفيذ ما جاء في الخطب الملكية ، بنصها ، وبجوهرها الحرفي ــ هكذا قال للاخر الذي استاء للتعبير الاخير ــ وانه ليس اسفا على شيء . لكنه كاد يطلب من المسؤول الجديد ضرورة اعادة نائبه السابق الى العمل ــ لكنه ــ بلا مبالاة غريبة، تجاهل الامر ، وترك الدائرة من الباب الاخر ، حيث لم يكن في استقباله غير عدد قليل من الحرس . ومن هناك،

في ذات العربة السوداء ، عاد الى البيت . في الطريق تساءل السائق :
ــ صاحب السعادة ، هل نقلت الى مدينة اخرى ؟
ــ لا .
ــ ماذا اذن ؟

قال سامي للسائق ، في حالة ضحك مدماة .
ــ اسكت .

واضاف قائلا لنفسه « طلبوا مني ان امضي عمري في البيت ، بين الجدران ... »

لكن السائق قال مجددا :

ــ انما الشائعات تقول بانك رقيت ..
ــ أسكت !

للمرة الاولى انتبه سامي عبد الاله انه بلا حارس خاص . وللمرة الاولى انتبه كذلك ان السائق غير طريقه اليومي المعتاد .
ــ لماذا فعلت ذلك ؟
ــ لا اعرف .. ربما قصدت ان ترى المدينة بشكل أفضل .

اجاب سامي عبد الاله :
ــ في الاعوام السابقة لم ار المدينة ، فكيف الان..
ــ ستراها .. ان لم ترها الان فستراها غدا .
ــ من قال ذلك ..؟
ــ انا .
ــ لمن قلتها ؟
ــ لنفسي ، لنفسي طبعا ! وانا حزرت بانك سترى المدينة ، ذات يوم ، بشكل افضل .

في البيت ، توجه حالا الى غرفته ، توقف امام المرآة ... وقد احس انه هو الذي فقد بريقه ، وليست المرآة ! وانه هو الذي فقد الكثير من صورته الاولى ــ المحببة اليه : يوم حلم ان يكون حرا ، موظفا صغيرا مهملا في احدى القرى ، بدل هذه النهاية المزرية . لكن ألم معدته ازداد . فذهب ، بكامل ملابسه ، الى الغرفة المجاورة ... وتقيأ هناك ما كان قد تناوله من فطور ــ ومختلف السوائل الاخرى ــ وحالما رفع رأسه رأى زوجته واقفة بالقرب منه :
ــ انت مريض ؟
ــ دعيني .

وساعدته على النهوض . لقد لوث السيد سامي ــ قالت زوجته لنفسها ــ ملابسه الملكية . ماذا حدث اذن ؟ ولكنها قادته الى غرفته ، والمرة الاولى في حياتها احست بثقل جسد زوجها . اكان ثقيلا طوال هذه الحياة، هكذا ؟
ــ ماذا حدث ؟

أجاب بهــدوء :
ــ اني مريض .

فتحت الزوجة ستائر الغرفة ، وتركت أشعــة الشمس تملأ ارضها . كانت حرارة الشمس تحــس بالكاد . وكان سامي عبد الاله ، وهو يتدثربغطائه الصوفي يرتجف بردا ، وثمة حمى كانت تبلل جســده عرقــا ساخنا ، لم يحس به ، الا في تلـــك الحالات التي كان يرفع الغطاء فيها عن جسده ، ليتنفس ، فيعيد الغطــاء حالا ، مكورا جسده ، كطفل مريض داخل سريرهالضيق. كانت زوجته ، تجلس لصقه ، تحاول ان تكتم حيرتها ، لكن زوجها ، قال لها الحقيقة ، ففزعت في بادىء الامر ــ لكنه اخبرها ــ بانه سيستعيد حياته باسرها ــ فسرها الامر ، وسرها لانها لم تكن تسر الا لانه كان يعرف كيف يجعلها مسرورة حتى عندما لا يكون في الامر اي سرور.

في بدء الليل ــ ولا يعرف كيف مضى الزمن ــ رفع رأسه وسألها :

ــ اين هو الطبيب ؟
ــ لــم يأت .

تلك الاجابة اعادته الى ذهوله . ولم يفق ، الا على اثر صوت زوجته ، وهي تحمل المذياع ، رفع رأســه قليلا وتساءل :

ــ ماذا ؟
ــ الملك يخطب !
ــ الملــك .
ــ نعم ، الملك ، جلالة الملك .

وقال لها بهدوء :

ــ دعيني من خطاب الملك .

ورفع صوته

ــ الطبيب .. اين الطبيب ؟
ــ ولكن الملك يخطب .
ــ أريد الطبيب .

انذاك تذكرت كلماتها في الصباح ، وتخيلته نائما. والان ذعرت لامر لم تدركه . فهرولت واتصلت بطبيبــه الخاص . وعرفت بان الطبيب كان يجهــل امر مرض زوجها ، وانه لم يخبر بذلك ، وانما ــ قال لها ــ هوالان في طريقه لمعالجة السيد المسؤول الجديد ، فهو ــ قال لها ــ يعاني من تغير جرى له بسبب المناخ ، البرد. وهو يأسف لعدم تلبية طلبها . وعليها ــ قال ــ ان تتصل بأي طبيب آخر .

حزنت . وبدل ان تتصل باي طبيب ، ذهبت الى زوجها .

ــ والان ... كيف انت ؟
ــ الطبيب .

نهض ، وتقيأ مرة اخرى ، وعاد الى سريره :
ــ ولكن حاول ان تتناول شيئا من الطعام ..
ــ لا استطيع .
ــ قليلا من الحليب
ــ حسنا .. هــاتي ..

وفشل في تناول حتى جرعة منه . انما قرر ان يرقد ، بارادة طالما الفها ونفذ أدق تفاصيلها . ارادة لا علاقة لها بالملك ، او بخطبه ، وانما ــ قال قبل انيغفوــ ارادة لها علاقة بحياته الخاصة . ولم يفق ، ولم يشف من مرضه تماما ، الا بعد شهر اواكثر بقليل . أفاق في منتصف ليلة كان الرعد فيها يزمجر . والامطار تهطل بغزارة . كان الضوء في غرفته خافتا . بيد ان اول مــا لفت نظره هو مشهد الكتب المرصوفة في مكتبتهالخاصة: الكتب التي ألفها .. والمجلدات الخاصة بخطب جــلالة الملك . ضحك . وفكر ان يتلف الكتب او يقذف بها من نافذته الى الحديقة ، حيث تتنقع وتمحو كل ما فيها ، لكنه لم يفعل ذلك : لست أحمق أو ... لقد عملتاكثر من ربع قرن وعملت .. وعشت .. وها انا أستعيــد حيــاتي .

أصغى بحنان لصوت الرعد ، وللرياح تضربالنوافذ والاشجار . فحلم ان يترك غرفته ، ويتجول فيالحديقة، بل ويتجول في شوارع المدينة التي لم يتجول فيها منذ زمان بعيد ، لكنه ، حذر نفسه من عاقبة البرد ، ثم ان هذا السلوك ــ قال لذاته ــلايليقبرجل طالما كان يحلم ان ينحني له الزمان .

لم يترك الغرفة ، ولم يتلف الكتب ، ولم يطلب ايا من أفراد اسرته ، لا زوجته ولا الاولاد الذين كــان يستقبلهم يوميا ، ليتناول واياهم بعــض الاحــاديث المقتضبة ، انما جلس وحيدا امام النافذة ، وجعليصغي الى المذياع ... ثمة اغان .. وفي مكان اخر ، اذاعــة ما يتحدث فيها احدهم عن رئيس دولته ، واخرى ... ورابعة .. اذاعات مختلفة لها مناهجها ... و .

ابتسم بحزن جهل دلالته . انما اكتشف ، بعــد قليل ، بانه طوال حياته لم يكن الا مذيعا يجلس وراء جهاز ويتكلم او يخطب ، وفي احيان نادرة كان يــؤدي فعلا عمليا ــ بلا معنى او قيمة . انه لم يكن هو الــذي يتكلم . وفرح فجأة ، فرح لانه لم يقم بهذا العمل،طوال الشهر الماضي ــ او خلال الاشهر الاخيرة ــ وانمااكتفى بحياة رجل تجاوز الخمسين باشهر ، وقد عزل مــن الوظيفة ــ انما ذلك هو ما كان يوافق أعمق الرغبــات خفاء عنده . وجعل يستمع الى اصوات اخرى . ثمــة مذيع يتكلم مزمجرا :

ــ ... لقد.. انتهى زمن الظلم ..!

ويختفي صوت المذيع . قال سامي فجأة : اللعنة..

ماذا حدث؟ وجعل يبحث عن الصوت بين عشرات الاصوات الاخرى . ها هو يصغي بانتباه .
ــ لن يموت الملك ... او ..

ــ ان زمانه يمتد .. وتاريخ الملك الذي يجعل الزمن ينحني له ...
ــ اخرس .

وقال سامي لنفسه «لقد سرق تعبيري. الاحمق !» وادرك ، وهو يلتقط صوت المذياع الاول ، بان زمان الملك، تجمد . لم تعد ثمة ملكية بعد الان . ماذا ؟ نهض ، فجأة، متخيلا صوت وكلمات نائبه السابق ، بأسف عميق. انما، بلا ارادة منه ، ترك غرفته ، والبيت ، بهدوء تام ، وجعل يهرول في المدينة التي كانت ، تستيقظ ، وثمة حشود من الناس تتجمهر هنا وهناك . كان سامي عبد الاله في قرارة نفسه ، سعيدا بالمطر وهو يبلل ملابسه ، ويلامس جسده الناعم ، اكثر من سعادة ــ يا للسعادة التي كان يخاف منها ، ويراها امامه متجسدة في حشود الناس ــ وباصواتهم التي كانت ، احيانا ، تعلو صوت الرعـــد والمطر الغزير . كان يتجول احيانا ، ويمشي احيانا اخرى، حتى ساعة ادرك انها ساعة بدء نهار آخر ، انذاك، والمطر يكف عن السقوط ، وثمة اشعة شمس كانت تخـترق حجب الغيوم وتضيء المدينة ، ارتكن زاوية في مرتفـع من الشارع ، وجعل يتطلع منها ، الى حشود النـــاس ــ التي لا يعرف متى افاقت ، وعرفت بالنبأ ، ومــتى تجمهرت ــ وهي تسير ــ أدرك ذلك تماما ــ باتجاه دائرته التي عمل فيها ما يقارب ربع القرن . كان يحدق مذهولا لعددها الكبير ، وسرعتها في الهرولة « ماذا أفعل ؟ »

تساءل . وكان يحس بالبرد يجمد أوصالـــه ، لكنه ، بارادته التي لم يفقدها قط ، ولا حتى الان ، نهض وحشر جسده المنقع ، بالاجساد الكثيرة . كان يصغي باذنين ثقيلتين الى زمجرة اذهلته ، لكنها ، كانت تساعده على الوقوف والمشي ، انما ، للحظة وجيــزة ، خـــاف ان يكتشفوه . وخاف ان يدركوا ، انه مثلهم ، كان يود ان يعلن غضبه ! « لكن من يفهم ... من ذا الذي يفهم اني حلمت .. ان ابقى مجرد موظف صغير يمضي عمره كله في قرية نائية ، مجهولة ، ويبقى بلا أثر ... » في تلك اللحظات ، وربما لسبب اخر ، انحرف ، وسار في زقاق ... فجأة ، وهو يبتعد عن الشارع الرئيسي اصغى الى أصوات ، تخيلها تطارده ، وعندما استدار ليرى المشهد، لاحظ ان اطفالا كانوا يزعقون ، كالاخرين ، فاستعـــاد طمأنينته .. وتقدم مسرعا قليلا ، فقد كان يود الا يموت الان ، في مثل هذه اللحظات ــ مع موت الملك ــ الا انه، وهو يصل الى نهاية الزقاق ،اكتشف ان حشدا كبـيرا آخر من الناس كان يتقدم ، ويزحف ، نحو قلب المدينة ويسد عليه الطريق . فتراجع ، منسحبا الى الخلف . ومن هناك عثر على زقاق ضيق آخر جعل يهرول فيه ــ هاربا من مشهد جموع الناس ــ وراح يهرول باقصى سرعته ، متجنبا بعض المارة ... بيد انه سرعان مـــا اكتشف ان نهاية الزقاق ، تفضي ايضا ، الى حشــود اخرى من الناس ، وهذا ما حدث ايضا ، في الزقـــاق الاخر « اني محاصر ... اني ..» وفي ذهول تـــام ، جعل يتخبط بحثا عن زقاق يختلف ، وعن طريق يبعده عن جموع الناس ... انذاك أحس انه لم يعد قـــادرا على التماســـك ...

الثقافة الجديدة

مجلة فكرية ابداعية عربية

تصدر في المغرب

تشرف عليها جماعة من المثقفين التقدميين المغاربة

المدير المسؤول : محمد بنيس

الاشتراك في الدول العربية وأوروبا ٥٠ درهما أو ما يعادلها

اشتـراك المؤسســـات المســـاندة ١٥٠ درهما او ما يعادلها

العنـوان : ص.ب ٥٠٥ المحمدية ــ المغرب